(الفصل الحادي عشر)

"حكاية خطها القدر"

اندهشت ناردين حينما سمعت كلمة أحبك تنطلق من فم نور الدين كأنها رصاصة قد انطلقت بسرعة الضوء؛ فاخترقت قلبها في لمح البصر، وأردتها قتيلة هذا الحب، تجمدت في مكانها للحظات، وكأن كل جزء من جسدها قد شل، وكأن روحها قد غادرتها لا تدري إلى أين. ظلت صامتة للحظات لا تدري هي إن كانت كثيرة أم قليلة؛ فلقد انعدم لديها الزمن حينها، عندما رآها نور الدين على هذه الحالة أطلق رصاصته للمرة الثانية؛ ليؤكد اختراقها واستقرارها في عمق قلب ناردين قائلًا:

- **نعم، أنا أحبكِ يا ناردين.**
- فالتقطت أنفاسها وبصوت متلجلج قالت:

- تح... تحب... تحبني؟

فأجابها وهو يمسك بيديها مؤكدًا لها أن ما سمعته واقعًا:

- **نعم أحبكِ، ولكن أعتقد بأنني قد تسرعت فاعذريني، فلقد فرضت نفسي.**

عليك فردت على وجه السرعة قائلةً:

- **لا، لا، لا يا نور الدين.**

- **لم تتسرع ولم تفرض نفسك عليَّ، بل على العكس تمامًا؛ فأنا أيضًا...**

ثم صمتت في خجول، ونظرت إلى الأرض محاولة استجماع قوتها لتكمل جملتها؛ فقال فى إلحاح شديد:

- **ماذا؟ أنت ماذا؟ هيا أخبريني، بوحي بها ولا تخجلي، هيا أرجوك.**

فابتسمت، ثم نظرت إليه، وبصوت خجول منخفض ردت قائلةً:

- **أنا... أنا أيضًا أعتقد بأني أحبك؟**

فابتسم نور الدين في سعادة غامرة ثم قال مازحًا:

- **نعم؟ ماذا قلتِ؟ لم أسمع شيئًا، هل قلتِ انصرف؟**

ثم ضحك فضحكت وقالت:

- **كم أنت ماكر حقًّا! لا، لقد قلت ما سمعته أذناك منذ قليل، أنا أيضًا أحبك، هل تعلم يا نور الدين؟ لقد كنت أظن بأننى سوف أحيا ما تبقى لي من عمري وحيدة؛ فما عايشته في الماضي جعلني أكفر بالحب، وأغلق جميع أبواب قلبي؛ فكرهت معشر الرجال جميعهم، ظننت بأن قدري هو الوحدة والألم. لم أكن أتوقع قط بأن القدر سوف يكتب لي قصة ذات نهاية سعيدة، ولكن قد خاب ظني؛ فالقدر قد وهبني أجمل قصة سوف نكتب نهايتها معًا.**

- **معك حق يا ناردين، وأنا كذلك كنت أظن بأنني سوف أحقق حلمي لأعيش فيه وحيدًا، كنت أظن أنني لن أحب مرة أخرى، وأن قصة حياتي قصيرة، فقيرة لا يوجد في صفحاتها الكثير سوى الماضي وآلامه، ولكنى كنت مخطئًا؛ فقصة حياتي ما زالت صفحاتها بيضاء سنخطها معًا؛ فبعد أن انتزعت منها صفحات الماضي المؤلمة لن يبقى بها سوى صفحات حاضري ومستقبلي معك، سوف نحقق أحلامنا سويًا، سأكمل انا الناقص بكتاب حياتك وستملئين أنتِ الفراغات في قصة حياتي، وهكذا سنكتب أجمل قصة، وسنخط بأيدينا أجمل نهاية إن شاء الله، والآن عليكِ أن تتماثلي للشفاء بأقصى سرعة؛ لأن لكِ عندي مفاجأة.**

- حقًّا؟ مفاجأة؟ ما هي؟

- وهل إذا أخبرتك ستصبح مفاجأة؟ هيا بعد أن تتماثلي للشفاء سوف تعرفين.

بعد مرور أسبوعين تماثلت ناردين للشفاء وكان يوم خروجها من المستشفى؛ فأتى نور الدين ليصطحبها إلى السكن، وعندما غادرا المستشفى وجدت ناردين سيارتها تقف أمام المستشفى ففرحت كثير؛ فهي تحب سيارتها تلك وكأنها صديقتها، وليست مجرد سيارة؛ لذلك صممت أن تأخذها معها في

سفرها، وعندما تعطلت في الطريق والحكاية معروفة، طلبت من مدير الموقع أن يرسل أحدًا لاستخراجها وإصلاحها، لكنه أبلغها بأن إصلاحها سوف يستغرق الكثير من الوقت.

أثناء وجود ناردين بالمستشفى علم نور الدين بأمر السيارة؛ فتابع بنفسه أمر صيانتها حتى تم إصلاحها، أراد أن يفاجئها بها عند خروجها من المستشفى وقد كان، فلما رأت ناردين السيارة هللت في سعادة:

- سيارتي! أخيرًا أتيتِ، شكرًا لك حقًّا، إنها لمفاجأة جميلة.

- لكن هذه ليست هي مفاجأتي، فصبرًا، صبرًا، لم يحن موعد المفاجأة بعد.

- هيا بنا لنذهب إلى السكن، تستريحي بعض الوقت، ثم نرى ماذا سنفعل بعد ذلك؟

- كما أن مزرعتك وعمالك قد اشتاقوا إليكِ، ودائمًا يسألونني عنك.

فأجابته فى حماس:

- وانا أيضًا قد اشتقت إليهم كثيرًا، هيا بنا، ولكن أنت من سيقود السيارة من الآن وصاعدا ليكن بعلمك.

- كلا، هي سيارتك، فلتقودينها أنت.

فغضبت ثم قالت:

-أهكذا إذن؟ سيارتي؟ وهل سيوجد بيننا سيارتي وسيارتك؟ وأشياؤك وأشيائي؟ هل سيوجد بيننا أنا وأنت؟ حسنًا،إذا كنت ترغب بذلك.

ثم غادرت وهى غاضبة؛ فأمسكها من يدها ليستوقفها قائلًا:

- مهلًا، مهلًا، رويدك، توقفي، لمَ هذه العصبية؟ وما كل هذا الغضب؟

- حسنًا، لن يوجد بيننا أنا وأنت، سوف أقود السيارة، هيا اصعدي لنغادر.

ثم قال مازحًا وهو يصعد إلى السيارة ويحرك المقود ليذهبا:

- أظنك من مواليد برج الجدي، ألستِ كذلك؟

فضحكت ثم قالت:

- وما أدراك؟ أنا حقًّا من مواليد برج الجدي.

فضحك ثم قال:

- واضح، واضح.

فعقدت حاجبيها ثم قالت:

- وما هو الواضح هذا؟

فانفجر فى الضحك قائلًا:

- هذا هو الواضح، غضبك هذا، وعصبيتك تلك، وفوق كل هذا عنادكِ.

ضحكت ثم قالت:

- أهكذا؟ إذن، دعني أخمن من أي برج أنت؟

فابتسم ثم قال متحديًا إياها:

- أتحداكِ أن تعرفي.

فنظرت إليه رافعة أحد حاجبيها وبنظرة متحدية ردت قائلة:

- حسنًا، فلنجرب ونرى.

فابتسم وقد أبدى هو الآخر نظرة تحدٍ مصحوبة بابتسامة جميلة، وفي حركة ساخرة، رفع أحد حاجبيه مقلدًا إياها ثم قال:

- حسنًا، من أي برج أنا؟

وقبل أن تجيب قال:

- اها، ولكن بشرط، إذا أجبتي إجابة خاطئة؛ فسوف أطلب منك أمرًا، وسوف تنفيذينه دون مقاومة أو اعتراض.

فقالت في تحدٍ:

- حسنًا، وإذا أجبت إجابة صحيحة؛ فسوف أطلب أنا منك أمرًا وستنفذه بدون مقاومة أو اعتراض.

فضحك ثم أجابها قائلًا:

- حسنًا اتفقنا، هيا أجيبي من أي برج أنا؟

فنظرت إليه نظرة عميقة بعينيها العسليتين اللامعتين ثم قالت:

- مممممم.

- إذا نظرنا إلى أول لقاء بيننا، فلقد كان هناك شخص غريب الأطوار عندما تنظر إليه تشعر بأنك تعرفه منذ زمن بعيد، ولكن في الوقت ذاته تراه شخصًا فظًا وجامدًا.

فقاطعها متعجبًا:

- أهكذا ترينني؟

فابتسمت ثم قالت:

- انتظر، دعني أستجمع الصورة، ثم ترى نفس الشخص وقد أصبح شخصًا آخر في لحظات، حنونًا، ثم سرعان ما يعود إلى صورته الأولى، بمعنى أنك متقلبًا، تشبه البحر كثيرًا، هادئ ثم ثائر، عميق وسطحي، قريب وبعيد؛ إذن أنت برج مائي، لذلك أعتقد بأنك من مواليد برج السرطان، ألستَ كذلك؟

ثم أغمضت عينيها وهي تبتسم منتظرة رده في إشارة معناها أنها تخشى من إجابتها أن تكون خاطئة؛ فتضطر إلى إجابة طلبه، فإبتسم نور الدين ثم قال متسائلًا:

- هل أنتِ مهندسة زراعية؟ أم عالمة فلكية يا ترى؟

ففتحت عينيها في بطء وهى تبتسم فى دهشة، ثم قالت:

- إذن، فإجابتي صحيحة أليس كذلك؟

فأجابها وهو يمثل دور المهزوم في تأثر قائلًا:

- حسنًا، اطلبي ما تشائين مني.

ثم علق ضاحكًا:

- نعم إجابتك صحيحة.

ففرحت وصرخت مهللة:

- مرحى، مرحى، حسنًا، انتظر؛ فسوف أفكر في عقاب لكَ وسوف تنفذه دون اعتراض، ولكن انتظر حتى أفكر.

وأخذت تضحك. انتهى الطريق وقد وصلا إلى السكن؛ فوضع نور الدين حقيبتها في غرفتها قائلًا:

- **استريحي الآن، وفكري في عقابي حتى أعود مساءً، والآن عليَّ العودة إلى العمل؛ فهناك بعض الأعمال بانتظاري عليَّ إتمامها، هيا إلى اللقاء.**

فأجابته ناردين بنظرة تحمل كل معاني السعادة والحب:

- **إلى اللقاء.**

****